الباب الثالث

تقنية قصيدة القناع

الفصل الأول

تقنيات استخدام القناع

تنوعت تقنيات استخدام القناع في الشعر العربي المعاصر بين الاستخدام الجزئي، والكلّي، والاستخدام المتوازي، والمتعارض.

ففي (الاستخدام الجزئي) يتماهى الصوتان: صوت الشاعر، وصوت الشخصية التراثية التي تتحدث بضمير المتكلم، في جزء من القصيدة، وليس في كلها، كما في قصيدة أدونيس (فصل المواقف) التي استفاد في جزء منها من الآية الكريمة

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً)[1]

حيث قال:

مَنْ يعطيني ورقة أحمّلها أكداساً من البخور والصندل
أنقّطها كالعروس وأجلوها
أقرأ عليها سورةَ مريم
أهزّ فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وأرسلها إلى أحبابي[2]

وكما في جزء من قصيدة السياب (شناشيل ابنه الجلبي)، حيث يقول:

وتحت النخل حيث تظل تمطر كلّ ما سعفهْ
تراقصتِ الفقائغ وهي تُفجَرُ - إنه الرُّطَبُ -
يتساقط في يد العذراء، وهي تهزّ في لهفة
بجذع النخلة الفرعاء (تاجُ وليدكِ الأنوارُ لا الذهب)[3]

وكذلك استفاد صلاح عبد الصبور من حادثة هجرة الرسول $ من مكة إلى

---

[1] سورة مريم: الآية 25.
[2] أدونيس - ديوانه، دار العودة - بيروت 1971، ص2 / 215.
[3] بدر شاكر السياب - ديوانه، دار العودة - بيروت 1971، ص 598.

المدينة في جزء من قصيدته (الخروج)[1].

وأما (الاستخدام الكلي) للقناع فيمتد على مساحة القصيدة كلها. وأمثلته كثيرة، ومنها قصيدة السياب (المسيح بعد الصلب)[2] حيث اتخذ السيابُ المسيحَ قناعاً، تحدّث من خلاله عن تجربتيهما المتماثلتين في الصلب الحقيقي للمسيح، والصلب المعنوي للسياب الذي عاش حياته كلها مصلوباً على أخشاب الفقر والمرض والمعاناة والعوز، في القصيدة كلها، حيث يقول:

بعد ما أنزلوني، سمعتُ الرياح
في نواحٍ طويلٍ تسفُّ النخيل
والخطى وهي تنأى، إذن فالجراحْ
والصليب الذي سمّروني عليه طوال الأصيل

وهي قصيدة طويلة تحدث فيها السياب من خلال قناعه (المسيح) عن آلامه ومعاناته، ورأى فيها أن «موته» هو مخاض للمدينة.

وأما (الاستخدام المتوازي) ففيه تتوازى تجربة الشاعر وتجربة القناع، وتتماثل التجربتان، فيتماهى الشاعر بقناعه الذي يعبّر عن كليهما. وأمثلته كثيرة، ومنها قصيدة أمل دنقل (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)[3] حيث تماهى الشاعر مع (سبارتاكوس) حيث يقول:

معلّقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتي - بالموت - محنيّهْ
لأنني لم أحنها.. حيّه[4]

كما تماهى أمل دنقل مع (عنترة العبسي) فقال من خلف قناعه (عنترة):

قيل لي: اخرسْ
فخرستُ، وعميتُ، وائتممتُ بالخصيانْ!
ظللتُ في عبيد (عبسٍ) أحرسُ القطعانْ
أجتزّ صوفها
أردُّ نوقها
أنام في حظائر النسيانْ
طعاميَ: الكسرةُ، والماءُ، وبعضُ التمرات اليابسهْ
وها أنا في ساعة الطعانْ
ساعةَ أن تخاذل الكُماةُ.. والرُّماةُ.. والفرسانْ
دُعيت للميدانْ!
أنا الذي ما ذقتُ طعمَ الضانْ
أنا الذي لا حولَ لي أو شأنْ
أنا الذي أُقصيتُ عن مجالس الفتيانْ:

---

[1] صلاح عبد الصبور - ديوانه، دار العودة - بيروت 1971، ص 1 / 235.
[2] بدر شاكر السياب - ديوانه، ص 457.
[3] أمل دنقل - البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، دار الآداب - بيروت 1969.
[4] نفسه، ص 10.

أُدعى إلى الموت.. ولم أُدعَ إلى المجالسهْ![1]

وأما (الاستخدام المتعارض) ففيه يحوّر الشاعر بعض الأحداث المعروفة في حياة القناع، فيحذف منها، أو يضيف إليها. كما في قصيدة السياب (رحل النهار)، حيث اتخذ من شخصية السندباد قناعاً، لكنه جعل رحلة السندباد تخفق، على غير المعهود من رحلات السندباد السبع الظافرة، ليعبّر بذلك عن تمكّن المرض منه حيث قال:

رحل النهار
ها إنه انطفأتْ ذُبالتُهُ على أُفقٍ توهّج دون نارْ
وجلستِ تنتظرين عودةَ سندبادٍ من السِفارْ
والبحرُ يصرخُ من ورائك بالعواصف والرعودْ
هو لن يعود / أوما علمتِ بأنه أسرته آلهةُ البحارْ
في قلعةٍ سوداء في جزرٍ من الدمِ والمحارْ[2] **.**

---

[1] أمل دنقل - البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، دار الآداب - بيروت 1969، ص 28-29.
[2] نفسه، ص 229.